

## أثر التحضر على الممارسات الاجتماعية داخل الوسط الحضري

الاستاذة: مفتاح نادية<sup>1</sup>

<sup>1</sup> جامعة الجلفة- الجزائر

عادة ما ترتبط ظاهرة التحضر ونموه في المدن بنوعية الخدمات الموجودة و كثافتها، و الذي من شأنه أن يكون عامل جذب للسكان من خارج محيط المدينة، وبهذا تدخل الجماعات الوافدة من مختلف الجهات إلى المدينة عادات و تقاليد و قيم متميزة والتي من شأنها أن يشكل مواقف صعبة للتكيف بسهولة و في زمن قصير و هذا الذي يجعل علاقاته في البداية محدودة، و لهذا تعد هذه الهجرة داخل المدن في بلدان العالم الثالث سببا مباشرا وراء الانفجار الحضري السريع خاصة و أن هذه المجتمعات تمر بمرحلة إعادة البناء لنفسها مع حصولها على الاستقلال، ولهذا عند دراسة التحضر لمجتمعات العالم الثالث و ذلك من خلال التغيرات سواء الكلية التي عرفتها هذه المجتمعات إما منفردة على المستوى الإقليمي و منه إيجاد الأسباب الحقيقية للظاهرة و الوقوف عند النتائج المترتبة عن هذه الأخيرة ، إلا أنه لفهم هذا لأبد من قراءة تاريخ التحضر في المدن و كيفية نهوضها إلا أننا في هذا العمل نكتفي بإدراج الأثر الذي خلفه التحضر في الجماعات الاجتماعية في المدينة ، مع العلم أن النمو الحضري في مجتمعات العالم الثالث (أي مدن العالم الثالث) لم يكن ناتجا عن ظاهرة التصنيع و النمو الاقتصادي أو التجاري كما حدث في البلدان الغربية ، حيث أن هذا النمو قد حدث بإدخال التجمعات السكانية الصغرى في المناطق الريفية أو البدوية في تعداد المدن.

يشكل إذن التحضر أحد الظواهر الأساسية التي يختص بدراستها علم الاجتماع الحضري، و لأنها نشأت بنشوء المدن و توسعها فإن المشاكل و الأزمات التي تظهر في هذا المجال تختلف عن الريف أو البادية ، ضف إلى ذلك أن هناك خصوصية تامة تتمتع الأنماط المعيشية بها سواء الريفية منها أو البدوية أو الحضرية حتى

## الاستاذة: مفتاح نادية

أنا نتفق هنا مع أرسطو في أن تخطيط المدن يتطلب تقسيمها إلى أحياء و شوارع منظمة<sup>1</sup>، و بطبيعة الحال هذا من شأنه أن يؤدي إلى ظهور جماعات سكانية و بالتالي ظهور ممارسات تتميز فيها المدينة و تنفرد بها، و نحن إذا نتحدث عن هذه الظاهرة فإننا نخص بالإشارة إلى واقع المدن في المجتمع الجزائري التي تعرف تحضرا من نوع خاص خاصة بعض المدن التي تميزت بمحددات تاريخية معينة و بالتالي حراكا اجتماعيا يستجيب لبعض الإفرازات التلقائية التي بدأت تهيأ المجتمع للانتقال من الصورة التقليدية إلى الصورة المعقدة شيئا فشيئا و نشدد في اهتمامنا على العبارة الأخيرة.

و ذلك بالتركيز على أن عملية التحضر لم تكتمل بعد بنفس النسبة و الصورة التي وصلت إليها المجتمعات المتقدمة، إلا أن هذا الانتقال يعد محاولة للتكيف مع الحياة المجتمعية بدل من الحياة الجماعية التي عهدها المجتمع التقليدي. يظهر إذن توزيع الجماعات الإنسانية و التفاعل بينما داخل المجال من بين المواضيع التي تستدعي البحث و الاهتمام خاصة إذا كان ذلك في المجال الحضري أين يظهر دور الإنسان بقدراته في صنع البيئة الاجتماعية الخاصة بهذا المجال و لهذا ينشأ الاحتكاك الثقافي بين الجماعات التي تشغل هذا المجال و لعل انتقال الجماعات إلى مجتمعات غريبة عنها تكيف ثقافيا بسرعة، ليتضح أن المدينة ك مجال هي عنصر وسيط يغير و بشكل واضح بعض الصور للممارسات التقليدية - بغض النظر عن المجال السابق.

لهذا عرفت مجتمعات العالم الثالث ظاهرة التحضر مع بداية الخمسينيات من هذا القرن إلا أنه اتخذ صورا و أشكال و ذلك بسبب التفاوت الكبير ما بين الريف و المدينة و البادية في هذه المجتمعات و التي كان لها الانعكاس الواضح على بقية العلاقات الاجتماعية و البنيات الثقافية و أيضا على مستوى القيم، و لهذا و نحن نتحدث عن هذه الظاهرة في المجتمع الجزائري نذكر بالإشارة إلى الشروط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وحتى التاريخية التي حددت فيما بعد الأبعاد لتنقلات الجماعات السكانية من بيئة جغرافية إلى أخرى، و بما أنه ارتبط التحضر

---

1- عبد المجيد عبد الرحيم ، علم الاجتماع الحضري ، مكتبة أنجلو مصرية ، القاهرة ، 1976م ، ص 23 .

## أثر التحضر على الممارسات الاجتماعية داخل الوسط الحضري

في المجتمع الجزائري شأنه شأن مجتمعات العالم الثالث إلى الظروف المذكورة سابقا فإنما نتج عنها بروز ظواهر و أنماط حياتية متباينة وأسس تنظيمية و هيكلية ذات طبيعة خاصة ، لهذا يبقى البحث مجالاً واسعاً لإثراء الدراسات حول هذه القضية و تركيزنا ينطلق من نموذج لمدينة عرفت وضعاً خاصاً للتحضر و من ثم للتغير الاجتماعي و تيرته.

و لعل تساؤلنا في هذا الاتجاه يدفعنا لأن نجد عبر التحليل لبعض العناصر التي تميز هذه المدينة كوسط حضري فإنها تفسر لنا المعطيات الجديدة التي ساهمت في حركية هذا المجتمع و تفصيل العلاقات الاجتماعية بين أفرادها و جماعته وفق نمط معين و لهذا يتجه التساؤل نحو البحث في الكيفية التي استطاع بموجبها المجتمع التأقلم مع عمليات التغير الاجتماعي مع الحفاظ على بعض العناصر التقليدية و تعاشيها مع عمليات التحضر التي أدخلت المدينة في سيرورة جديدة؟ بمعنى هل أثر التحضر على الممارسات الاجتماعية؟

و لهذا تدخل هذه الظاهرة ضمن المواضيع التي يعنى بها علم الاجتماع الحضري (أي المدينة) و ذلك بكل من تعج به من مشكلات و خصوصيات تحديداً و في ظل هذه الخصوصية فإن المدينة في مجتمعات العالم الثالث تختلف في هذا الإطار لتمييز بخصوصية معينة.

و نحن نثير هذا الموضوع فإننا نصل حتماً إلى إدراج التحول و التغير الذي عرفته هذه المدينة و الجماعات الاجتماعية التي تكونه ضف إلى ذلك الأخذ بعين الاعتبار الخصوصية الثقافية و الاجتماعية التي تتمتع بها مجتمعات المغرب العربي و المجتمع الجزائري على وجه الخصوص و التركيز أكثر على المحددات التاريخية التي ساهمت في تشكيل التنظيم الاجتماعي لها.

لهذا يفترض الانطلاق من هذا الواقع الاجتماعي بمنظور تحليلي و ذلك بالاستناد إلى بعض المؤثرات التاريخية و الآنية مع مراعاة أهم متغير في هذه العملية و هو البيئة الاجتماعية المعاصرة في ظل التحولات على كل المستويات خاصة منها الاجتماعية و الاقتصادية.

من هنا لا يختلف اهتمامنا في التحليل عن علم التخصص و ذلك في التوجه بالاهتمام إلى الظواهر ذات الطابع المعقد ف المجتمعات الإنسانية كوحدة كلية.

## الاستاذة: مفتاح نادية

لأن الفرد كائن اجتماعي يشكل الدور الأساسي في نظام العلاقات الاجتماعية القائمة ما بين الأجزاء، وهنا لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار في الربط ما بين التحضر كظاهرة عالمية وإقليمية وعملية التغيير في ظل هذه الخصوصية وبالمقابل أيضا محاولة احتواء بعض العوامل ذات الصلة به (نقصد هنا التحضر) وأكثر من ذلك الأخذ بعين الاعتبار عنصر البيئة البشرية التي تعد مرآة للظروف السياسية والاقتصادية المباشرة<sup>2</sup>. هذا الأخير أي العنصر البشري تحدد البيئة طريقة تكيفه معها ومن ثم الممارسات التي توافق وجوده منها. ولهذا تتضح لنا الفروق عندما نحاول ملاحظة درجة التحضر في المجتمعات عالميا وهي تختلف حتى ما بين المدن في المجتمع الجزائري. على الرغم من أن التحضر ساهم في إحداث التغيير سواء على المستوى الاجتماعي أو الثقافي.

### تحديد المفاهيم الأساسية:

#### 1- تعريف مفهوم المجتمع:

يمكن الإشارة هنا إلى أن هذا المفهوم محوري خلال هذا البحث على المستوى اللغوي في ما ورد في المنجد فإن المجتمع وهو مأخوذ في معناه الحقيقي يطلق على كل مجتمع لأفراد يتقاسمون نفس الممتلكات أو النشاط من أجل تحقيق أجل تحقيق أرباح ليتم تقسيمها فيما بينهم<sup>3</sup>.

أما على المستوى الاصطلاحي فإنه يمكننا الاعتماد على تعريف ر.م ماكيفرو وشارلز بيرج حيث يشير فيه إلى أن المجتمع هو نظام يواجه سلوك الكائنات الاجتماعية يضبطه وسائل لا حصر لها ويطلق هذا النظام "المجتمع" نشاط الناس وفي نفس الوقت يحد منه ، إنه يضع له مقاييس للسلوك ، عليهم أن يتبعوه وأن يحافظوا عليها، إن المجتمع نسق مكون من العرف المنوع والإجراءات المرسومة"<sup>4</sup>.

2- د . جودة حسنين جودة ، شبه الجزيرة العربية ، (دراسة في الجغرافية الإقليمية ) ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، 1996 ، ص 8 .

3-Bailly René. Dictionnaire des synonymes. Paris : librairie Larousse. 1946. P 548.

4- ر.م ماكيفرو وشارلز بيرج ، المجتمع ، ج 1 ، ط 3 ، تر ، الدكتور علي أحمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1974 م ، ص 16 .

## أثر التحضر على الممارسات الاجتماعية داخل الوسط الحضري

و إذا حاولنا مناقشة هذين التعريفين فإننا نجد أن التعريف الأول ينطلق من فكرة أساسية حيث يبرز فيها أن المجتمع عبارة عن قالب ينظم فيه الأفراد بشكل يكون قد اتفقوا فيه على القيم و الإجراءات المرسومة في إطاره يتصرف الأفراد و لا يخرجون عنه إلا أنه يمكننا توجيه انتقاد لبعض المفاهيم المستخدمة في هذا التعريف مثل كلمة الناس و التي كان من الأحسن استخدام لفظ الأفراد للدلالة و للموضوعية أكثر و التي يمكن توظيفها للعموم ، بينما التعريف الثاني فإنه أشار إلى تجمع الأفراد و ذلك من أجل مصلحة معينة و لغرض تحقيق أهداف معينة إلا أننا نراه ضيق إذا ما قورن بالمجتمع و كما نريد استخدامه داخل الوسط الحضري أي المدينة حيث لم يشر إلى طبيعة الممارسات التي يقوم بها الفرد و التي لا ينتظر منها تحقيق هدف كالمسلوكيات و بعض الأخلاقيات، لهذا يمكن الإشارة إلى عدم شموليته بحيث أنه يركز على عناصر معينة.

و هنا أهمل المجتمع كإطار ينتظم فيه أفراد المجتمع حيث تبرز علاقات معينة و لهذا يمكننا اقتراح التعريف التالي وهو أن المجتمع هو المجال الذي تنتظم الجماعة تربطها قيما اجتماعية مشتركة و تسعى لتحقيق أهداف معينة يوزعون الأدوار حسب المكانة داخل الجماعة.

### **2. تعريف مفهوم التحضر:**

قبل تحديد هذا المفهوم فإنه يتحتم علينا الإشارة إلى الحضر و الذي يشير فيه أهل الاختصاص إلى الإقامة و الاستقرار الدائم في الأمصار و المدن و القرى و الريف و ما يصاحب ذلك من احترام السكان لحرفة تكفيهم في معيشتهم على الدوام كالتجارة و الزراعة و الصناعة<sup>5</sup>.

أما عند العرب فإننا نجد ابن عبدون يذهب إلى إدخال الفلاحة و الزراعة في هذا المفهوم إذ يفسرهما من خصائص التحضر و النمو في المجتمع الإنساني خاصة عند حديثه عن بلاد المغرب العربي، حيث يقول في هذا الشأن: "الفلاحة هي

---

5- د . عبد العال الشامي ، جغرافية العمران عند ابن خلدون ، دون ذكر مكان الطبع ، 1988 ، ص 153 .

## الاستاذة: مفتاح نادية

العمران و منها العيش كله و الصلاح جله و بطالتها تفسد الأحوال و تحل كل نظام"<sup>6</sup>.

ويمكن الإشارة هنا إلى أن بعض المختصين قد أولوا اهتماما وألوية للزراعة في تحديدهم للحياة الحضرية، حتى أنهم ألصقوا الزراعة بالحوضر، ولهذا كانت الإشارة الضرورية لهذا المفهوم، هذا اعتبارا على أن العلامة ابن خلدون في هذا الإطار قد أشار إلى البدو والحضر ولأننا في هذا الموضوع ركزنا البحث على المجتمع المغربي وأكثر من ذلك المدينة في المجتمع الجزائري، حيث يشير ابن خلدون في هذا الأمر إلى أن البدو أصل للمدن و الحضر وسابق عليهما... ومتى حصل البدوي على الرياض الذي يحصل له به أحوال الترف وعوائده عاج إلى الدعة و أمكن نفسه إلى قيادة المدينة وهكذا شأن القبائل المتبدية كلهم<sup>7</sup>.

ولهذا يمكن القول أن ابن خلدون يركز على عنصر أساسي وهو أن الحركة واردة في طبيعة الأشياء نفسها و لهذا يرى أنه من الضروري عند دراسة الجماعة البدوية الاستناد إلى المدينة<sup>8</sup>.

أما بالنسبة لمفهوم المتحضر فإننا عند تحديده لابد أن نشير إلى بعدين في هذا الإطار حيث أن البعد الأول يركز في التغيير على انتقال السكان بشكل عام من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية، أما البعد الثاني فينطلق في التفسير من وجود مواقع المدن في مواقع جغرافية يعينها<sup>9</sup>، ومن هنا يمكن القول أن مفهوم التحضر urbanisation إلى عملية من عمليات التغيير يتم بواسطتها انتقال أهل الريف والبادية إلى المدن أو تحول المناطق الريفية أو البدوية ذاتها إلى مناطق حضرية وعادة ما تؤثر هذه العملية تأثيرا كبيرا في التركيب الاجتماعي والاقتصادي والمهني للسكان<sup>10</sup>.

6- د . عبد العال الشامي ، نفس المرجع السابق ، ص 41 .

7- المقدمة ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص 214 .

8- المقدمة ، نفس المرجع السابق ، ص 304 .

9- د . لوجلي صالح الزوي ، علم الاجتماع الحضري ، دار الكتب الوطنية تبغاري ، تونس ، 2002م ، ص 26 .

10- لوجلي صالح الزوي ، نفس المرجع السابق ، ص 29 .

## أثر التحضر على الممارسات الاجتماعية داخل الوسط الحضري

كما يذهب البعض الآخر إلى إعطاء لهذا المفهوم معاني تشير إلى طريقة الحياة المميزة لأهل المدن الذين يتبعون عادة أسلوباً أو نمطاً معيناً في حياتهم وهو أمر يتعلق بالسلوك اليومي، فالتناس يجب أن يتكيفوا نفسياً مع متطلبات المدينة<sup>11</sup>.

ويشير بهذا الشكل التحضر إلى أكثر من انتقال الإنسان من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية أو من الريف والبادية إلى المدينة ومن العمل بالأرض إلى أنماط الأعمال والمهن الحضرية لأنه مجرد الانتقال لا يجعل الفرد متحضراً لأن هذه العملية تتضمن في واقع الأمر تغيرات أساسية على مستويات مختلفة كالتفكير والسلوك والقيم الاجتماعية، بالإضافة إلى ذلك التغيرات الحاصلة في الاتجاهات نحو العمل، حيث يفترض وبطريقة آلية تقسيم جديد للعمل.

ويمكن هنا القول أن هذا الأمر الذي يهمننا في هذه العملية لأن الجماعات الاجتماعية سواء كانت قد مارست الهجرة الخارجية والتي تعني بها ما بين المدن في حد ذاتها أو الهجرة الداخلية من داخل المدينة الواحدة فإن عملية التحضر تتضمن التغير بالنسبة للأفراد والجماعات، ولهذا فهي عملية حاصلة بعد عملية التحضر التي تعني التركيز السكاني، بينما الحضرية هي أسلوب في الحياة وكما أشار إلى ذلك، لأن الأسلوب أو النمط أمر يتعلق بالسلوك اليومي، في حين أن التركيز السكاني هو نتيجة قرار شخص بالانتقال أو التحرك من منطقة لأخرى<sup>12</sup>.

إذن ومن كل ذلك تتضمن هذه العملية التكيف مع الحياة المجتمعية بدل من الحياة الجماعية.

### **3. تعريف مفهوم المدينة:**

لقد تعددت التعاريف المقدمة " للمدينة " ولقد تعددت أيضاً الزوايا التي إنطلق منها أهل الاختصاص للتعريف إلا أن كلها تتفق على نقطة واحدة سيأتي التوضيح لها في عرض التعاريف التالية :

11- لوجلي صالح الزوي ، نفس المرجع السابق ، ص 31 .

12- أحمد غريب محمد السيد ، علم الاجتماع الريفي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1985م ، ص

## الاستاذة: مفتاح نادية

- تعرف المدينة على أنها المكان الذي يعيش فيه عدد كبير من الأفراد في حالة ازدهار وتركز<sup>13</sup>.

- كما عرفت المدينة عند البعض الآخر أنها مجموعة من الجماعات المتنافرة و التي لا ترتبطها إلا وحدة الحياة في المدينة<sup>14</sup>.

- وهنا تعريف ثالث مفاده أن المدن هي أماكن تؤدي وظائف مهمة كثيرة، و يضاف إليها وظائف كثيرة أخرى مثل كونها المقر الرئيسي للشركات الكبرى التي يتطلب وجودها إضافة إلى وظائف أخرى للمدينة مثل الخدمات المتعلقة بالاتصال والمواصلات والإسكان زد على ذلك أن وجود المرافق المضافة إلى المدينة يوفر كثيرا من فرص العمل المصاحبة لهذه المرافق والتي بدورها تجذب أعداد جديدة من البشر وبالتأكيد تؤدي إلى زيادة وظائف المدينة<sup>15</sup>.

فبالنسبة للتعريف الأول فإنه يشير إلى عنصرها أساسيا لتحديد المدينة و هو المكان و العدد الذي يشغل هذا المكان و يحمل العدد بهذا الشكل أبعادا دلالية حيث أنه يتعدى للروابط القائمة بين هؤلاء و التي سرعان ما تنحل، و كانت بذلك المدن جزءا من المجتمع البشري و ذلك منذ آلاف السنين أي قبل ظهور التصنيع. أما بالنسبة للتعريف الثاني فإنه يؤكد على وجود جماعات و بالتالي ميزتها أنها متنافرة فيما بينها و القاسم المشترك بينها هو الحياة في هذه الرقعة أو المجال ، هذا الذي يعني و بشكل واضح فكرة عدم تجانس السكان، أما بالنسبة للتعريف الثالث فإنه يتضمن التخصص بالنسبة للمدن و ذلك بتعدد الوظائف هذا الذي جعلها منطقة جذب السكان .

من هنا يمكننا التوصل إلى تحديد للمدينة يجمع في أساسه ما بين متغيرات الحجم و الكثافة حتى نتمكن من تعريف المدينة ، هذا الذي يعني أن المدينة هي المجال الذي تشغله جماعات متباينة و على هذا الأساس يتم التفاعل بينها ،

---

13- أحمد غريب محمد السيد ، علم الاجتماع الريفي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1985م ، ص 131.

14- عبد المجيد عبد الرحيم ، علم الاجتماع الحضري ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1976 ، ص 33 .

<sup>15</sup>- Tumin. Melvin M. patterns of society, little, brown and company, Boston , 1973 , p 371.

## أثر التحضر على الممارسات الاجتماعية داخل الوسط الحضري

بالإضافة إلى التنوع في الخيارات المهنية والثقافية والفنية، لهذا يمكن القول و بشكل خاص أن المدينة هي نتاج هجرة جماعات أو أفراد من أصول مختلفة.

التحولات الحاصلة جراء عملية التحضر:

إن الشيء الذي يمكن تأكيده هو أن التحولات واردة جراء توسع المدن الذي سمح بالتحول من مهنة إلى أخرى أو التدرج الاجتماعي و قد يتعدى ذلك ليطول العلاقات الاجتماعية وبالتحديد الفعل الاجتماعي ونؤكد هذا بالإشارة التي قدمها W.Moore إلى أن التغيرات التي تطرأ على القيم والمنتجات الثقافية والرموز<sup>16</sup>.

و في نفس السياق يظهر أن للمجتمعات و الثقافات وجودا متقلب على الدوام فهي في تدفق مستمر و أنها تشكل حزمة من الظواهر المستعارة و المستوعبة في أغلب الأحيان...<sup>17</sup>

و لهذا فإن التحولات هي ثمرة التفاعل بين الأفراد داخل البيئة المجتمعية و أنساقها الفرعية و تتضمن التغيرات الجوانب المادية و الغير مادية.

و الواقع فإن المجتمع الجزائري لا يختلف في عمومته عن المجتمعات العربية التي عرفت هذه العملية و التي جرت وراءها تحولات أملت ظروف اجتماعية و اقتصادية، إلا أننا في تركيزنا على نموذج مدن تمتد جذورها في البادية و الترحال قبل التحول فإننا نلاحظ أن الثنائية التي أصبح يعيشها الفرد في الوسط الحضري بسبب التحولات التي تعرفها بعض المدن أي أنها مازالت في طور التكوين، و نذكر تحديدا هنا مدينة الجلفة التي عرفت تحولات كثيرة وإفرازات كبيرة تخص بالذكر حالة الثنائية التي أصبح يعيشها الفرد داخل هذا الوسط الحضري الذي يحاول الوصول إلى حالة التمدن، هذه الثنائية التي تفترض وجود أفراد غير متجانسين حيث أنه المجال يبقى هو التحضر المشترك بين سكان المنطقة و الوافدين لها حيث أن التوجه الجديد في إنشاء المراكز الحضرية تنشطه التجارة و قطاع الخدمات و لهذا يتأكد لدينا أن العمالة تتوزع في هذه المدينة على هذين

---

17- A . Laroui. L' idéologie arabe contemporaine. préface de maxime robinson Maspero. paris, 1967. P

## الاستاذة: مفتاح نادية

النشأطين إلا أنه تظهر اختلافات ما بين هذه المدينة و ضواحيها من حيث استعمال المجال و توظيفه.

و أكثر من ذلك فإن التفاعل الاجتماعي هنا يبرز ما بين جماعات كبيرة مختلفة و غريبة عن بعضها البعض هذا في بعض التجمعات الحضرية.

و في نفس المدينة نجد نوعا آخر للاتصال و العلاقات الاجتماعية التي تقام على أساس القرابة حيث تتجه بعض الجماعات الاجتماعية إلى التجمع في مجال حضري واحد إذ يمكن إدخالها ضمن التفاعلات الجديدة التي فرضها توظيف المجال بطريقة لا تخرج عن الإطار التقليدي الذي تمت فيه هذه العلاقات.

بدأت أيضا في هذه المرحلة الجماعات الاجتماعية المتواجدة في الوسط الحضري تتقاسم بعض المميزات هذا الذي يمهد لتشكيل صورة جديدة للتحضر تختلف عن المقاييس التي شكلت التحضر في المدن الكبرى العملاقة، بحيث يفسر الاتصال المستمر و الدائم ما بين الأنماط المجتمعية المكونة لهذا المجتمع، يمكن أيضا تسجيل من ناحية أخرى أن الظاهرة السكانية في هذه المنطقة و تحديد المدينة عرفت ارتفاعا متزايدا، حيث بلغ العدد عام 2006 م حوالي 962105 نسمة<sup>18</sup>، وعلى الرغم من هذا فإن عملية التحضر هنا نأخذها بشئ من التحفظ حتى وإنه لا يختلف إثنان من المهتمين بقضايا التحضر والمدن على أن هناك ثورة حضرية في هذه المدينة و لكن للبعد الثقافي هنا أهمية فعالة في تجسيد البناء الاجتماعي و طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة حيث أن المجتمع في الأصل كان تقليديا و مازال يحمل بعض ملامح ذلك.

يمكن تسجيل بعض ملامح التحول جراء عملية التحضر التي أخذت تتكون في إطارها هذه المدينة إذ أن النظام الأسري ذا الطابع البدوي بدأ يتخذ مظهرا جديدا نلمسه عبر جمود بعض القيم البدوية و تحرر الأفراد داخل هذا الوسط الحضري، ضف إلى ذلك ارتفاع قيمة التعليم لدرجة تساويها ما بين الجنسين كمعطى جديد يستجيب لأسس النظام الاقتصادي الجديد و المكانة الاجتماعية داخل الأسرة و المجتمع، كما يسجل أيضا هنا التوجه الجديد نحو الزواج خارج

---

18- Direction de la planification et de l'aménagement du territoire de la wilaya de Djelfa Année 2001.

## أثر التحضر على الممارسات الاجتماعية داخل الوسط الحضري

إطار الأسرة الموسعة أي الانتماء إلى العرش الواحد، و بذلك التوجه نحو الاستقلالية في السكن الذي بدأ يقلص شيئا فشيئا الأسرة الموسعة.

وعلى هذا و تبعا للميكانيزمات التي تنظم عملية التحول في هذا المجتمع فإنه يمكن تصنيف هذه الوضعية في مرحلة ما قبل المدينة و ما بعد البداوة، حيث لم تعد المساقط الرعوية تشغل بال الإنسان في هذه المنطقة و لاعادت رحلة الصيف و الشتاء تعتبر أفقا بالنسبة إليه تدور فيه ممارساته الاجتماعية بل بالعكس سمحت هذه التحولات الحضرية اكتساب عوامل ساهمت في بلورة ذهنيته في إطار الخصائص الروحية و الفكرية التي توارثها فحافظ بذلك على شطر منها.

إن حالة الحراك الاجتماعي التي تعرفها المدينة هنا تخضع في استقطاب السكان إلى نوعين من الحراك اجتماعي داخلي من الريف و البادية إلى وسط المدينة أو أطرافها، و حراك خارجي من مختلف المدن الجزائرية ككل.

هذا نتج عنه تنوعا في العلاقات و الروابط الاجتماعية و مما لا شك فيه أن هذا يؤدي إلى تعدد الاتجاهات و التصورات داخل هذا الوسط و هي خاصية تتمتع بها مدن العالم ولا تختلف فيما أيضا مدن المجتمعات العربية حتى وإن كان الاتصال يتخذ أشكالا متفاوتة إلا أنه يتفق في تعدد الوظائف و الأدوار، و من خلال النظم و العلاقات القائمة في المدن فإننا نستشف أن بعض المدن في المجتمع الجزائري تتمتع بخصوصية من حيث العناصر التي ساهمت في إحداث التحضر فيها ، حيث أن عنصر التنمية قد أدى دورا مزدوجا من ناحية كان عامل استقطاب للسكان و من ناحية أخرى ساعد على التوسع، هذا شأن مدينة الجلفة التي عرفت تحولا منذ 1998 م إلى يومنا هذا والتي أدخلتها في السيرة الحضرية حتى أخذ مفهوم المجتمع الحضري في هذه المدينة طابعا مميزا يتلاءم و طبيعة المنطقة، فإذا حاولنا استنطاق الأرقام أو الاستشهاد بها فإننا نستشف منها الدلالات التي تفسر ما تحدثنا عنه أثناء العرض حيث أن عدد السكان كان 332500 نسمة سنة 1977 م إلا أن الزيادة خلال الفترتين تقدر بـ 190652 و بنسبة نمو عام وصلت إلى 37.48 % لتصل هذه النسبة عام 1998 م إلى 61.31 % بعد ما كانت

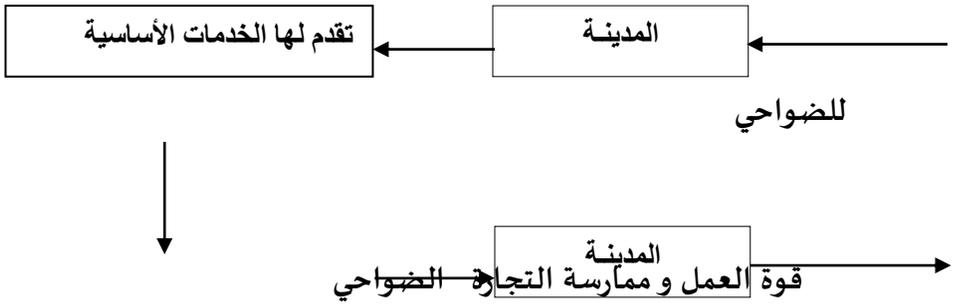
---

19- Recensement général de la population et de l'habitat 1998.

## الاستاذة: مفتاح نادية

48.72 % عام 1987 م<sup>19</sup>، هذا الذي يعني أن المدينة عرفت تحولات مستمرا شأنها شأن كل المدن في المجتمع الجزائري عامة، ويمكن القول أن الفترة ما بعد 1998م تميزت باستقطاب عدد كبير من السكان إذا ما قورنت بالمدن الأخرى التي تقع في نفس الخط.

ومن هنا ظهرت علاقة على مستوى المجال ما بين المدينة في حد ذاتها و ضواحيها وذلك عن طريق الجماعات السكنية التي تشغل هذين المجالين حتى أصبح كلاهما يحتاج للآخر وفق ما يلي:



حتى أنه يمكننا التأكيد على أن هذه الضواحي كانت في وقت ما حلا لبعض المشاكل التي كانت تعاني منها المدينة كالضغط على بعض الخدمات العامة. و خلاصة لما تقدم حول هذه الظاهرة في هذه المدينة تحديدا فإنه يمكن الإشارة إلى أن معظم المدن الجزائرية عرفت حراكا سكانيا يتجه من الأرياف إلى المدن إلا أن الوضع في مدينة الجلفة اختلف، حيث عرفت حراكا سكانيا اتجه من المدن و حراكا آخر من البادية التابعة للمنطقة في حد ذاتها وهذا الذي ساهم في إعطاء طابعا مميزا للعلاقات داخل المجال الحضري و التعاون في التأثير بالحياة الحضرية ما بين المنتمين الجدد و الوافدين، و الذي لا يبلغ أقصاه إلا بعد المرور بمراحل متعددة و التحول من العلاقات المختلفة.

نصل إلى التأكيد على أن هذا التوسع السريع للتحضر في المدن يؤدي إلى بعض التقاليد و الأعراف المحلية إلى التراجع و إلغاء المسافة شيئا فشيئا للفروقات النوعية بين الجماعات المحلية و الجماعات الوافدة من مناطق أخرى و من هنا يأخذ الاتصال الثقافي و البشري المكثف مكانة في أداء وظيفته في الضغط على

## أثر التحضر على الممارسات الاجتماعية داخل الوسط الحضري

النسق الحضاري و على السكان المحليين، هذا الذي لابد أن يتفهمه المهتم في هذا الشأن و إيجاد التفسيرات للضغوط التي يتعرض لها الهيكل الاجتماعي الذي كان في الأصل قبلي بسيط في تركيبه قبل الاحتكاك بالعالم الخارجي و المتمثل في الجماعات المتواجدة في المدينة و ذات الإنتماء الحضري حتى و إن كانت من جهات مختلفة و الذي يفسر بدوره عملية التعايش الذي ينتج تنوعا على مستوى الروابط الثقافية.

يمكننا أن نخلص إلى استنتاجات مهمة تتعلق بالتحضر و المدن حيث أن التحضر لم يكن متساويا في كل المجتمعات البشرية من بلد إلى آخر و يعود الاختلاف هنا بحسب العوامل التي سمحت بدخول المدينة عن غيرها في التحضر و قد يشكل عدد السكان مؤشرات لإيجاد لاختلاف المدينة عن غيرها بالإضافة إلى أن التخصص أيضا يعد مؤشرا ممكنا و هذا الذي يعطي للمدينة في الجزائر مظهرا يختلف في مكوناته عن مدن العالم ، حيث أن المدينة كبيئة تمارس تأثيرا على الجماعات و الأفراد على مستوى بعض السلوكات .

و مما سبق ذكره فإنه يمكن الإشارة إلى أن البيئة تمارس على الجماعات و الأفراد تأثيرات واضحة خاصة ما تعلق بالحياة كالسكن و ظروف العمل و من ثم التأثير على السلوك و العلاقات الاجتماعية ، و لهذا لا يمكن أن ننظر للمدينة على أنها تجمع أجزاء و إنما لابد من النظر إليها على مستوى تنوع العلاقات المكونة للمجال المكاني الاجتماعي و الذي تبرز عليه العلاقات ما بين الجماعات المختلفة المشكلة لهذه الحياة ، حيث أن الاضطرار إلى الدخول مع الغير في علاقات من نوع شبع الحياة الاجتماعية و غيرها داخل المجال الاجتماعي<sup>20</sup> ، و هذا الذي طبعاً يظهر عملية التفاعل بين ما هو اجتماعي و ما هو مكاني فيما يسمى بالحركة الحضرية حيث يزداد التباين و تتعدد الأدوار الاجتماعية و يشد الحراك الاجتماعي<sup>21</sup> .

<sup>20</sup>- R. Ledrent . sociologie urbaine .PUF . paris . 1973 . p.p. 141 . 144.

<sup>21</sup>- د . السيد الحسيني ، المدينة ، دار المعارف ، ط 2 ، القاهرة ، 1981 ، ص ص 126 ، 127 .

### الاستاذة: مفتاح نادية

و لعل التغير في أوضاع المرأة عامة في مدينة الجلفة مثال واضح لحراك بنائي بالنسبة لهذه الفئة من المجتمع على الرغم من الخصوصية التاريخية التي تتمتع بها هذه المدينة و لنقف عند عوامل خاصة هنا و التي ساهمت في هذه العملية أيضا خاصة الهجرات الداخلية التي عرفتها المدينة من المدن الأخرى في المجتمع الجزائري أو حتى من الأرياف.

## أثر التحضر على الممارسات الاجتماعية داخل الوسط الحضري

قائمة المراجع :

- 1- أحمد غريب محمد السيد ، علم الاجتماع الريفي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1985م .
- 2- أحمد زايد ، اعتماد علام ، التغيير الاجتماعي ، مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة ، 2000م .
- 3- المقدمة ، الطبعة الثانية ، دارالكتاب اللبناني، بيروت.
- 4- د . جودة حسنين جودة ، شبه الجزيرة العربية ، ( دراسة في الجغرافية الإقليمية)، دارالمعرفة الجامعية، القاهرة.
- 5- د. السيد الحسيني، المدينة، دارالمعارف، ط 2 ، القاهرة ، 1981.
- 6- عبد المجيد عبد الرحيم، علم الاجتماع الحضري ، مكتبة أنجلو مصرية، القاهرة، 1976م.
- 7- د. عبد العال الشامي ، جغرافية العمران عند ابن خلدون، دون ذكر مكان الطبع، 1988.
- 8- ر. م ماكيفرو شارلز بيرج ، المجتمع ، ج 1 ، ط 3 ، تر ، الدكتور علي أحمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1974م.
- 9- د . لوجلي صالح الزاوي ، علم الاجتماع الحضري ، دارالكتب الوطنية تبغاري، تونس ، 2002م .
- 10- A . Laroui. L' idéologie arabe contemporaine. préface de maxime robinson 1 Maspero. paris. 1967.
- 11- Bailly René. Dictionnaire des synonymes. Paris : librairie Larousse. 1946.
- 12- R. Ledrent . sociologie urbaine .PUF . paris . 1973 .
- 13- Direction de la planification et de l'aménagement du territoire de la wilaya de Djelfa Année 2001.
- 14- Recensement général de la population et de l'habitat 1998.